



التحليل التداولي للسخرية

The Pragmatic Analysis of the Irony.

محمود طلحة*

جامعة عمار ثليجي، الأغواط - الجزائر m.talha@lagh-univ.dz

تاريخ النشر:	تاريخ القبول:	تاريخ الإرسال:
2025-06-03	2025-05-30	2025-03-01

ملخص: يتناول المقال مفهوم السخرية ويحاول التعرّف عليها من خلال وجهات النظر التي على أساسها نشأ المفهوم وفي المقابل كيف تناولته التداولية المعاصرة بوجهة نظرٍ أخرى، ولذا يتناول البحث تعريفات المفهوم القديمة والحديثة في البلاغة الغربية ثم إشكالية الترجمة العربية وما يقابله من مفاهيم، ثم يتناول البحث كيف نظر كلٌّ من "سيرل" و"غرايس" و"سبرير وويلسون" لتحليل السخرية من وجهة النظر التداولية.

تركّز وجهة النظر التداولية إمّا على نظرية الأفعال الكلامية كما رآها "سيرل"، أو من مبدأ "التعاون" الذي فسّر به "غرايس" الاستعمال اللغوي التواصل بين البشر، أو من وجهة نظرٍ تقوم على مبدأ الملاءمة، مفادها أنّ المتكلّم في أغلب تواصلاته ينطلق من ملاءمة حديثه لغيره، وفي هذه النظرية طرح "سبرير وويلسون" وجهاً آخر لتحليل السخرية باعتبارها تفسيراً لمفوض الغير يقوم المتكلّم به عبر ظاهرة الخطاب غير المباشر الحرّ.

كلمات مفتاحية: سخرية؛ بلاغة؛ تداولية؛ الملاءمة؛ المتكلّم.

Abstract: The article deals with the concept of irony and attempts to identify it through the points of view on the basis of which the concept arose and, in contrast, how contemporary pragmatics dealt with it from another point of view. The research examines the old and modern definitions of the concept in Western rhetoric, and then addresses the issue of Arabic translation and its related concepts. The research focuses on how each of 'Searle', 'Grice', 'Sperber & Wilson' viewed the study of irony from a practical perspective.

* المؤلف المرسل

The pragmatic point of view focuses either on the theory of speech acts as "Searle" saw it, or on the principle of "cooperation" by which "Grice" interpreted the communicative linguistic use between humans, or from a point of view based on the principle of appropriateness, meaning that the speaker in most of his communications proceeds from the appropriateness of his speech to others. In this theory, Sperber and Wilson proposed a different approach to analyzing irony: interpreting the utterance of others carried out by the speaker through the phenomenon of free indirect discourse.

Keywords: Irony; Rhetoric; Pragmatics; Relevance; Speaker .

1-المقدمة: صار مفهوم السخرية (L'ironie) من المفاهيم المعروفة في الدراسات الأدبية الحديثة والمعاصرة، ولعلّ الجديد الأبرز في تناوله هو إدخاله ضمن اهتمامات تحليل الخطاب (L'analyse du discours)، خصوصاً تلك المفاهيم التي يظهر ارتباطها بالتداولية، ولذا نحاول في هذا المقال التعرّف على هذا المفهوم، ويمكننا طرح التساؤلات الآتية لإشكالية المقال: ما المقصود بالسخرية؟ وتحت أيّ نظرة يمكننا التعرّف عليها؟ وما الجديد الذي تطرحه التداولية في تحليل الظاهرة؟، وللإجابة عن هذه التساؤلات رسمنا الخطة المنهجية التالية، أولاً علينا أن نراجع التعريفات المقدّمة للمفهوم، ثمّ البحث في الترجمات العربية للمصطلح، والإجابة عن تساؤل آخر هو هل يوجد مفهومٌ مشابهٌ له في البلاغة أو النقد العربي؟ وما الفرق بينها وبين الهجاء مثلاً؟، ثمّ نعرّج بعد ذلك إلى التطرّق للنظرة التداولية التي تركّز على الاستعمال اللغوي ووجه اختلافها عن الطرح البلاغي القديم.

2-مفهوم السخرية: أصل المفهوم كما يردّ في الدراسات المعاصرة هو مفهوم بلاغي ضمن البلاغة الغربية (La rhétorique)، غير أنّه وُجِدَ اختلافٌ في تعريفها عند البلاغيين الغربيين بين القدماء والمحدثين، فقد نجد أكثر من تصوّر واحدٍ لها، إذ اعتبرها "كانتيليان Quintilien" مجازاً (Trope) من جهةٍ، كما اعتبرها صورةً بلاغيّةً من جهة أخرى (Figure rhétorique)¹، واعتبرها "فونتانييه Fontanier" "صورة تعبير figure d'expression" وعرّفها بقوله: «تتمثّل السخرية في قول المرء عكس ما يُفكّر»

فيه أو ما يراد أن يُفكر فيه، سواءً عبر تهكّم أو مزاح أو جدّ²، ويبدو أنّ هذا التعريف الذي يفرض وجود معنى يعاكس معنى آخر قد كان التعريف الأشمل للسخرية، سواءً كان الدالّ عليها كلمةً في سياقٍ أو جملةً أو خطاباً، ولذا نجد في التعريفات المختلفة عند البلاغيين الغربيين القدامى والمحدثين أو اللسانيين وجهات نظرٍ متباينة في الدالّ على معنى السخرية، فمنهم من رأى أنّ السخرية توجد في الكلمة أو الجملة، وهناك من رأى أنّ السخرية يمكن أن توجد في خطابٍ أشمل من الجملة، ولذا يعرفها "أوليفي رويول Olivier Reboul" بقوله: «في السخرية، نحن نسخرُ بقولنا عكس ما نودّ أن نسمعه. مادّتها هي عكسُ المعنى (Antiphrase)، والغرضُ منها التهكّم؛ هي في الواقع صورةٌ فكريةٌ، لأنّها تحمل معنيين»³، ونجد "جورج موليني" في "معجم البلاغة" يعرفها مركزاً على الخاصية الخطابية التي تتجاوز الجملة الواحدة بقوله: «السخرية هي صورةٌ بلاغيةٌ من نمط البنية الكلية (macrostructural) تقوم بدورٍ في التصنيف المؤكّد للملفوظ: وهي كما هو معروفٌ، أن نقول عكس ما نودّ سماعه. ومن المهم إدراك جانب البنية الكلية للسخرية: فإنّ أيّ خطابٍ للسخرية يضمّ في بعض الأحيان مجموعةً من الجمل يكون من الصعب شكلياً فصلُ المصطلحات الدالّة على السخرية ضمنها (ولكن ذلك ممكن في حالة عكس المعنى)، ومن جهةٍ أخرى، فإنّ مجمل الحاشية للرسالة هو الذي يساعد في تأويلها باعتبارها سخرية»⁴.

إنّ فالغرض من السخرية هو التلفّظ بمعنى صريحٍ ومدلول هذا الملفوظ هو عكس هذا الصريح، ولذا يمكننا أن نستدلّ على وجود معنيين في الملفوظ، معنى صريحٍ ومعنى ضمنيّ، ولكنّ السؤال هو كيف يدرك المتلقّي أو السامع أو المتلفّظ المشارك ذلك المعنى الضمنيّ؟، الأكيد أنّ هناك سياقاً أو مقاماً يساعد على الوصول إلى ذلك المعنى الضمني، فالسخرية ظاهرة سياقية تقوم مكوّناتها الإضافية التفاعلية interactionnelles والمصاحبة للقول paraverbales بدورٍ بارزٍ في إيصال معناها

الضمني⁵، ويمكن تمييزها من خلال نبرة الصوت، وعلامات التعجب، وعلامات الاقتباس، وغيرها من المكونات الإضافية⁶.

هذا المعنى الضمني الذي تتبنى عليه السخرية هو ما جعلها موضوعاً بلاغياً يكتسب القيمة الجمالية من خلال الإخفاء وعدم الإظهار وبذل الجهد في الوصول إليه، ولذا يقرر "روبول" بأن السخرية تكون خفية عندما يتأخر الوصول إلى معناها الحقيقي، وعندما يدركها المستهدف بها بعد الجميع؛ بل الأبلغ فيها هو حين يكون معناها غير واضح ويترك المتلقي في شك حول المقصود من الكلام⁷.

وفي الأبحاث العربية تعددت التراجم للمصطلح بين السخرية والمفارقة والسخرية الخفية والتهكم⁸، وكما أن التعريفات اختلفت في الأصول البلاغية الغربية فقد اختلفت في الأبحاث الأكاديمية العربية، مما دعا "محمد العمري" إلى الحكم بأنه لا يوجد في التراث العربي لفظ عام مؤلّد لمعانٍ تستوعب المفهوم الحديث للسخرية⁹، بينما حاول "علي البوجديدي" أن يدرس العلاقات الممكنة بين المصطلح والمفردات الدالة على معانٍ مجاورة مثل الفكاهة والتهكم والهزاء والمحاكاة الساخرة¹⁰.

ونجد "مختار نويوات" يختار ترجمة المصطلح بالتهكم ويعرّفه بقوله: «أن يسخر الإنسان من غيره مماًزحاً أو جاداً بطريقة يقول فيها عكس ما يقصد أو ما يفهم من ظاهر الكلام»¹¹، ونحن وإن كنا نرى شيئاً من التشابه بين السخرية والتهكم في الاصطلاح، إلا أن الترجمة باستعمال مصطلح نقديّ قديم يطرح مشكلة التفريق أيضاً، فقد وُجد مصطلح التهكم باعتباره مصطلحاً نقدياً وبلاغياً في التراث العربي، ولذا نرى من الصعب استعمال نفس المصطلح لترجمة مصطلح دالّ على مفهوم حديث قائم بذاته، وهو ما نحاول توضيحه في هذا المقال، وتعدّ أول إشارة للتهكم بلاغياً ونقدياً ما قاله "ابن أبي الإصبع المصري" في "تحرير التحبير": «وهو في الاستعمال عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد في مكان الوعيد، والمدح في معرض

الاستهزاء، فشهد البشارة من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾¹²، وقد مرَّ في الباب الذي قبله قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾¹³ وهو شاهد الاستهزاء بلفظ المدح»¹⁴، وهذا النص وإن كان يقترح تعريفاً للتهكم إلا أنه يطرح مشكلة اصطلاحية أخرى، فالمحدّد للمحسن البديعي الذي أراد "ابن أبي الإصبع" تعريفه يفترضُ التقابل بين لفظين في مقامٍ معيّن، مثل البشارة مقابل الإنذار، أو الوعد مقابل الوعيد، أو المدح مقابل الاستهزاء، ولذا من الناحية البلاغية إذا وُجد اللفظ الأول الدالّ على معنى معيّن في عبارة دالّة على معنى مقابلٍ فإنّه يعدّ تهكُّماً، وبهذا فالشرط الأول للتهكم وجود لفظ في مقابل لفظٍ أو ألفاظ أخرى دالّة على معنى مغاير، والشرط الثاني هو أن يكون اللفظ أو الألفاظ المقابلة مضادّة للفظ الأول، والشرط الثالث أن يكون التهكم في مقامٍ دالٍّ عليه، وقد أشار "ابن أبي الإصبع المصري" إلى المثال نفسه الذي استعمله في تحديد ظاهرة بديعية أخرى قال بأنّها الاستهزاء في مقام المدح، ويطلق على الظاهرة مصطلحاً آخر هو "الشّماتة" ويعرّفها بـ"إظهار المسرة بمنّ نالته محنةً، أو أصابته نكبةً"¹⁵، ثمّ يأتي بالمثال السابق من القرآن الكريم، ويعلّق قائلاً: "لفظة ذُقْ شّماتة، وبقية الكلام تهكم"¹⁶، والمصطلح نفسه الدالّ على التقابل يستعمله "ابن أبي الإصبع" في أبوابٍ بديعية أخرى مثل "باب الهجاء في معرض المدح"، ولعلّ هذا الباب هو الأقرب إلى مفهوم السخرية فهو يعرفه بقوله: «وهو أن يقصد المتكلّم إلى هجاء إنسانٍ فيأتي بالفاظٍ موجّهة ظاهرها المدح وباطنها القدح، فيوهّم أنّه يمدحه وهو يهجه»¹⁷. وقد وُجِدَتْ بعض الاستعمالات لمصطلح التهكم في المباحث البلاغية، باعتباره غرضاً من الأغراض المتعلقة بأحوال المسند إليه كما نجده في "مفتاح العلوم" للسكاكي¹⁸ و"الإيضاح لتلخيص المفتاح" للخطيب القزويني¹⁹، وإمّا باعتباره محسّناً بديعياً مثلما نجد "بدر الدين ابن مالك" يعرفه في "المصباح": «التهكم: إخراج الكلام على ضدّ مقتضى الحال، استهزاءً بالمخاطب وغيره، أو تعريضاً بقوة المحرّك

للغضب»²⁰، غير أنّ اللافت للانتباه من الناحية الاصطلاحية أنّنا نجد "السكاكي" يميّز نوعاً من أنواع الاستعارة يطلق عليها مصطلح "الاستعارة التهكمية"، والمعروف أنّ الاستعارة مبحث من مباحث علم البيان، ويعرّف هذا النوع من الاستعارة بقوله: «ومن الأمثلة استعارة اسم أحد الضدّين أو النقيضين للآخر، بواسطة انتزاع شبه التضادّ، وإحاقه بشبه التناسب، بطريق التهكم أو التمليح، على ما سبق في باب التشبيه، ثم ادّعاء أحدهما من جنس الآخر، والإفراد بالذكر ونصب القرينة، كقولك "إنّ فلاناً تواترت عليه البشاراتُ بقتله ونهب أمواله وسبي أولاده"، ويخصّ هذا النوع باسم الاستعارة التهكمية أو التمليلية»²¹، فكون التهكم نوعاً استعارياً يصبّ في مبحثٍ شبيه بمفهوم السخرية، كما أنّ الشرط الذي سبق أن أشرنا إليه في مصطلح التهكم يوجد في هذه الاستعارة إذ هي "استعارة أحد الضدّين أو النقيضين للآخر".

ونستطيع أن نجد تعدّد الدلالة أو ثنائية المعنى الصريح والمعنى الضمني في مباحث بديعية أخرى غير التهكم، وهي مباحث تُقارِبُ مفهوم السخرية، مثل "التورية" فهي تقوم على الاختفاء والستر ولذا يقول المدني في تعريفها: «التورية أقربُ اسمٍ سُمّيَ به هذا النوع لمطابقته المسمّى، لأنّه مصدر ورُبْتُ الحديث، إذا أخْفَيْتُهُ وأُظْهِرْتُ غَيْرَهُ، ... وهي في الاصطلاح أن يذكر لفظ له معنيان، إمّا بالاشتراك، أو التواطؤ، أو الحقيقة والمجاز، أحدهما قريبٌ ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيدٌ ودلالة اللفظ عليه خفية، فيقصد المتكلّم المعنى البعيد، ويوري عنه بالقرب، فيتوهم السامع أنّه يريد القريب من أوّل وهلة، ولهذا سُمّيَ إبهاماً»²²، والواضح أنّ هذا المعنى الخفيّ في التورية يشبه ما وجدناه في تعريف السخرية، ويمكن أيضاً أن نسجّل هذا الشبه في المصطلح الوارد في هذا النصّ أي الإبهام؛ فهو "أن يقول المتكلّم كلاماً يحتمل معنيين متضادّين لا يتميّر أحدهما عن الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك بل يقصد إبهام الأمر فيهما قصداً"²³، غير أنّ هناك ميزةً يتميّر بها الإبهام في تعريف

"المصري" له، وهي أنه لا يكون إلّا في الجمل المؤتلفة المفيدة، كما أنّه يختصّ بالأغراض الشعرية كالمدح والهجاء والعتاب والاعتذار والفخر والرتاء والنسيب وغيرها²⁴. وغير هذه المباحث البديعية التي يمكن أن تشابه السخرية يمكننا أن نعدّها منها أيضاً "تجاهل العارف" و"التلميح" و"تأكيد المدح بما يشبه الذم" و"الهزل الذي يراد به الجدّ" و"التعريض"²⁵، وغيرها من المباحث التي تتبني أغلبها على وجود أكثر من معنى في الملفوظ.

والتساؤل الذي يمكننا طرحه هنا هو: ما علاقة السخرية بالهجاء؟، فالمعلوم أنّ الهجاء غرض من أغراض الشعر العربي، وهو مصطلحٌ قديمٌ قدم النقد، لكن إدراك النقاد لظاهرة الهجاء كان متعلّقاً إمّا بالشاعر المتلقّظ بهذا الغرض، وإمّا بالقصيدة أو القطعة أو البيت الذي يتضمّن الغرض، ونستطيع تعريف الغرض في الاصطلاح البلاغي بقولنا: "هو المعنى الناشئ عن التركيب اللغوي الخاضع للقواعد النحوية الذي يُنظر إليه في مقامه التواصلّي ويوجّهه متكلّم إلى مخاطب معيّن"²⁶، ويساعدنا هذا التحديد على دراسة إمكانية العلاقة بين الهجاء والسخرية، فكلاهما غرض أي معنى ينشأ عن التركيب اللغوي الذي يخضع للقواعد النحوية، ويكون في مقام تواصلّي معيّن بين متكلّم مُنتج للملفوظ ومخاطب موجه إليه هذا الخطاب، غير أنّ هناك بعض المميّزات الإضافية لهذين الغرضين، فالهجاء غرض عامٌ قد يشمل قصيدة كلّها أو مقطوعة أو مجموعة أبياتٍ أو بيتاً واحداً، بينما السخرية بمفهومها الذي بحثناه ومن وجهة النظر اللسانية هي معنى ما لملفوظٍ محدّدٍ قد يكون غرضاً جزئياً لغرضٍ عامٍّ هو الهجاء، والحاصل أنّ السخرية أخصّ من الهجاء، وإذا كان الهجاء إظهاراً للمعائب والمساوي، يتوجّه به المتكلّم إلى مخاطبٍ أيّاً كان، قد يكون المقصود بهذا الذمّ أو قد يُسمعه المتكلّم ذمّه لشخص آخر، فإنّ السخرية بمنظورها البلاغي قد تكون مزاحاً أو فكاهة، كما قد تكون جدّاً أو هزلاً، ومن هذه الناحية تميّز السخرية بعلاقتها الخاصة

بمقامها الذي تقالُ فيه، ومن جهةٍ أخرى قد يحتوي الهجاءُ الوصفُ أحياناً فيغدو الشاعر أو الناثر واصفاً بصفات سلبيةٍ الشخص المهجو، ربّما يتجاوز فيها بذلك القيم الأخلاقية والإنسانية، بينما نجد السخرية في تنوّع استعمالها بين الجدّ والهزل وبين المزاح والفكاهة؛ ظاهرةً تتميزّ باستدعاء الذهن لإدراك المعنى الخفيّ الضمنيّ فيها، ولعلّ هذا أبرز مميّزاتها التي دعتُ اللسانيين التداوليين المعاصرين أن يطرحوا منظوراً جديداً في تحليلها.

3- النظرة التداولية لمفهوم السخرية: تميّزت التداولية بوجهة نظرٍ تحاول أن تجمع بين الفلسفة والمنطق من جهةٍ؛ واللسانيات من جهةٍ أخرى، كما كانت لها بعض المراجعات لبعض المفاهيم البلاغية القديمة إمّا بإعادة النظر فيها، أو بتحليلها تحليلاً جديداً ينطلق من مبدأ الاستعمال اللغوي في سياقٍ تواصلٍ معيّن، مثل آراء التداوليين في الاستعارة والمجاز والسخرية. ولذا نحاول التعرّف على نظرة التداوليين لمفهوم السخرية وكيفية تحليلهم لها على الرغم من تعدّد آرائهم فيها، ولعلّ أولى الإشارات التداولية للسخرية أتت عند "هربرت بول غرايس H.P. Grice" فقد اقترح في إطار مبدأ التعاون "Cooperative principle" مجموعةً من القوانين التي رأى أنّها تحكمُ التواصل البشري سمّيت بقوانين التخاطب، وتبني هذه القوانين على مجموعةٍ من المسلّمات هي مسلّمات: الكمّ والكيف والملاءمة والنوع، وفي إطار ملاحظة بعض الظواهر البلاغية وجدّ "غرايس" أنّ السخرية تعدّ خرقاً للقاعدة الأولى من مسلّمة الكيف، فمفاد هذه المسلّمة في العملية التواصلية "أن تكون مشاركتك صادقة"، والقاعدة الأولى صيغتها: "لا تقلّ ما تعتقد أنّه خاطئ"²⁷، فالمتكلم بالسخرية يتلفّظ عن قصدٍ بملفوظٍ ينتج عنه معنى ضمنيّ معيّن، ولذا شبّهها غرايس بالفعل الكلامي غير المباشر، وتأتي خصوصيّة السخرية من هذا الجانب الضمنيّ أي في كون المعنى الضمني على عكس المعنى المتلفّظ به²⁸.

بينما نجد "جون سيرل John Searle" في كتابه "المعنى والتعبير" يتطرق إلى الاستعارة والسخرية وعلاقتها بالأفعال الكلامية غير المباشرة، وينطلق أولاً من التفريق بين معنى الجملة ومعنى تلفظ المتكلم، فالمتكلم في السخرية والاستعارة قد يتلفظ بجملة يريد من خلالها معنى كما يمكن أن يريد معنى إضافياً، وحين يتطابق معنى الجملة مع معنى تلفظ المتكلم أي مراده فإن الأفعال اللغوية هنا هي أفعال لغوية مباشرة تحتوي على قوة إنجازية واحدة²⁹، أمّا الأفعال الكلامية غير المباشرة فهي أفعال توجد فيها أكثر من قوة إنجازية واحدة ومعنى تلفظ المتكلم فيها متعدد، وبالتالي فقد اشترط مجموعة من الشروط على أساسها يمكن أن يفهم المخاطب أنها فعل كلامي غير مباشر وهي عشر خطوات أساسية³⁰، وحين يأتي لتأكيد الفرق بين الاستعارة والسخرية من جهة والفعل الكلامي غير المباشر من جهة أخرى، يصوغ التعريف التالي للسخرية: «التلفظ الساخر: يوّد المتكلم أن يقول عكس ما قاله، وللوصول إلى معنى التلفظ يجب المرور بمعنى الجملة ومنه إلى المعنى المعاكس له»³¹.

واستناداً لهذا التناول عند كلٍّ من "غرايس" و"سيرل" رأى "سبربر وويلسون D. Sperber & D. Wilson" رأياً آخر في تحليل السخرية في مقالٍ شهيرٍ خصّصاه للبحث في هذه القضية³²، ثم تناولاه في الكتاب المتعلق بنظريتهما "الملاءمة Relevance"³³، وقد انطلقا من نقدهما لتحليل "غرايس" للصور البلاغية وخصوصاً السخرية والاستعارة.

رأى "سبربر وويلسون" أنّ السخرية يتمّ تحليلها تقليدياً بالمنظور البلاغي وحتىّ بمنظور "غرايس" أيضاً من خلال افتراض وجود معنيين: معنى صريح حرفي ومعنى مجازي، وتتميّز السخرية كما أسلفنا بأنّ المعنى الصريح دالّ على عكسه وهو المعنى المجازي لدى المتكلم، ولذا رأى "سبربر وويلسون" أنّ البلاغيين و"غرايس" أيضاً لم يقدّموا آلية تفسّر هذه الظاهرة، فالمطلوب من أيّ نظرية دلالية صريحة أن تقدّم: أولاً:

تعريفاً للمعنى المجازي؛ وثانياً: آليةً لاستنباط المعنى المجازي من العبارة؛ وثالثاً: بعض المبادئ التي تفسّر سبب وجود العبارات المجازية³⁴، والمثال الذي ساقه "غرايس" وعلّق عليه "سبرير وويلسون" هو قول المتكلّم بقصد السخرية أثناء سقوط المطر:

(1)- ما أجمل الطقس.

فالمتكلم ساخرًا بهذه العبارة يريد عكس المعنى وهو "ما أسوأ الطقس"، والتساؤل المطروح هو إذا كنّا في إطار مبدأ التعاون كما يفترضه "غرايس" في التواصل فما الذي دعا المتكلم إلى القول صريحاً "ما أجمل الطقس" ليدلّ على عكسه "ما أسوأ الطقس"؟، ولماذا لم يصرح المتكلم بذلك مباشرة؟، إنّ الحلّ الذي يقترحه "غرايس" هو أنّ خرقَ قواعد المحادثة أو قوانين التخاطب ينتج عنه ما أسماه بالاستلزام التخاطبي (L'implication)، والتساؤل الذي يطرحه "سبرير وويلسون" هو: كيف يتمّ الانتقال من المعنى الصريح إلى المستلزم التخاطبي أو المضمّر في السخرية؟³⁵، فإذا كان "غرايس" يطرحُ المستلزم التخاطبي أو المضمّر باعتباره بديلاً لمعنى العبارة أو الملفوظ، فإنّ هذا في حدّ ذاته يعدّ مشكلاً من ناحية تعريف معنى الملفوظ بأنّه:

الغرض من الملفوظ = ما قيل + ما يلزم عنه³⁶.

فمعنى السخرية من هذا الوجه هي ما يلزم عنها فقط باعتباره بديلاً عن معناها الصريح، ومن وجهة نظرٍ أكثر استقراءً رأى "سبرير وويلسون" أنّ السخرية مثلها مثل الكثير من الاستعمالات المجازية تشكّل جزءاً من الحوارات اليومية، لكن من الناحية المنهجية لا يجب التعامل مع تحليلها من نظر البلاغيّ أو المتخصّص الذي ينطلق من معارفه العلمية والتي على أساسها يعرف أنّ معنى الملفوظ ساخر، وبذا يستنتجان أنّ "مفهوم السخرية مفهوم تجريدي، ويستند إلى مجموعة عشوائية إلى حدّ ما من الأمثلة التي لم يتمّ وصفها بشكل كافٍ. ولهذا السبب، يبدو لنا من الخطأ أن نعتبر السخرية

نفسها موضوعاً للتحقيق، وأن تقتصر على حالاتها الأكثر شيوعاً. هناك مجموعة كاملة من أنواع الملفوظات التي يمكن أن نطلق عليها بشكل فضفاض اسم السخرية³⁷.

لكنّ التساؤل الجدير بالقول هنا هو إذا كان "غريس" يفسّر الخطاب التواصلية في اللغات الطبيعية المستعملة بأنه ينبغي على "التعاون"، وفسّره "سبرير وويلسون" بأنه ينبغي على الملاءمة، فعلى أيّ تفسيرٍ يمكننا الحكم على السخرية؟، إذا كان غريس كما رأينا قد فسّر السخرية بالانتقال من معنى صريح إلى معنى ضمنيّ كما تذهب إلى ذلك البلاغة القديمة، فإنّ "سبرير وويلسون" في إطار نظريتهما حول الملاءمة وتحت تأثير علم النفس المعرفي يقدّمان تفسيراً نفسياً لاستعمال السخرية لدى المتكلّم، وينطلقان أولاً من التفريق بين استخدام التعبير (Use) وبين حكايته أو ذكره (Mention)، وهو تفريقٌ فلسفيّ، ولذا يقترحان أنّ الملفوظ هو في حدّ ذاته "تعبيرٌ تفسيريّ عن فكرةٍ لدى المتكلّم"، وهذا الفكر أو مجموع الأفكار في الذهن التي ينقلها الملفوظ بالتعبير لها احتمالان؛ إمّا أن تكون وصفاً لحالٍ من الأحوال في العالم أو وصفاً لحال مرغوبٍ فيها، وإمّا أن تكون تفسيراً لفكرةٍ أو ملفوظٍ منسوبةٍ له أو لغيره، أو يمكن أن تكون تفسيراً لبعض الأفكار التي يُرغَبُ أو من المحتمل أن يُرغَبَ استيعابها بطريقةٍ ما: كالمعرفة، على سبيل المثال³⁸، إذن فالذكر أو الحكاية هو عبارة عن تفسيرٍ لتعبير المتكلّم ويتمّ هذا التفسير بأربعة أساليب³⁹:

1- الذكر الصريح للتعبير أو الملفوظ، ويتمثّل في الخطاب المرويّ الصريح المباشر.

2- الذكر الضمني للتعبير أو للملفوظ، ويتمثّل في الخطاب المرويّ الضمني

المباشر.

3- الذكر الصريح للقضية أو الحكم ويتمثّل في الخطاب غير المباشر.

4- الذكر الضمني للقضية أو الحكم ويتمثّل في الخطاب غير المباشر الحرّ.

وبهذا النوع الرابع ترتبط السخرية، فهي في أغلبها ذكرٌ ضمنِيٍّ لقضيّةٍ ما، أو بعبارة أخرى فإنّ السخرية "إذا كانت ملفوظاً مستعملاً كتفسيرٍ لفكرة شخصٍ ما فهي بالضرورة أيضاً تفسيرٌ لفهم هذا الشخص للفكرة"⁴⁰، لكنّها تبقى عبارةً عن "قوضى echoes" فكرية مقصودة، الغرضُ منها هو دعوة المخاطَب لبذل الجهد في التعرّف عليها حتّى تدخل السخرية في مبدأ الملاءمة.

4-خاتمة: يمكننا من مجمل النظرات السابقة الذكر أن نستنتج بأنّ السخرية شغلّت الكثير من الدراسات المعاصرة، وقد كان علينا التعرّف على هذا المفهوم في الوسط الذي نشأ فيه ألا وهو البلاغة العربية القديمة، وإذا كان البلاغيون الغربيون قد عرّفوا هذه الظاهرة بتصوّرات مختلفة إمّا باعتبارها مجازاً أو باعتبارها صورة تعبير بلاغية أو صورة فكرٍ بلاغية، فإنّ الذي لفت انتباهنا فيها هو وجود معنى صريح ومعنى ضمنِيٍّ، ويكون المعنى الضمني في تعريفات البلاغيين عكس المعنى الصريح، ولذا حاولنا في الإشارة إلى الترجمات العربية للمصطلح أن نبحث في الظواهر البلاغية التي أشار إليها البلاغيون العرب عن ظاهرة موجودة شبيهة بها في التقابل بين معنيين، مثل التهكم أو الإبهام أو التورية أو غيرها من الظواهر التي قد تشبه السخرية، وفي نفس السياق وجدنا من الضروريّ الكشف عن علاقة السخرية بالهزاء باعتبارهما غرضين من الأغراض التي تُساق لها الملفوظات.

أمّا من الجانب التداولي فقد رأينا وجهة نظرٍ أخرى تنطلق إمّا من نظرية الأفعال الكلامية كما رآها "سيرل"، أو من مبدأ "التعاون" الذي فسّر به "غرايس" الاستعمال اللغوي التواصلّي بين البشر، أو من وجهة نظرٍ تقوم على مبدأ الملاءمة، مفادها أنّ المتكلّم في أغلب تواصلاته ينطلق من ملاءمة حديثه لغيره، وفي هذه النظرية طرح "سبربر وويلسون" وجهاً آخر لتحليل السخرية باعتبارها تفسيراً لملفوظ الغير يقوم المتكلّم به عبر ظاهرة الخطاب غير المباشر الحرّ.

وإذا كان التحليل التداولي للسخرية يعدّ جديداً في النظر إلى الظاهرة فإنّ التطبيق عربياً يطرح الكثير من التساؤلات، إذ تعدّ المدونات باللغة العربية كثيرةً تحتاج إلى الدراسة بهذه النظرة، ولعلّ هذا محمل التفصيل في بحوثٍ أو مقالات أخرى.

5- قائمة المراجع:

مراجع باللغة العربية

- ابن أبي الإصبع المصري، **تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، 1963.

- البوجديدي (علي)، **السخرية في أدب الجاحظ**، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 1439/2018.

- الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر)، **الإيضاح لتلخيص المفتاح**، تحقيق: د. ضياء الدين عبد الغني القالش، دار اللباب، اسطنبول، تركيا، ط1، 2023/1445.

- شارودو (باتريك) ومنغنو (دومينيك) (ومجموعة باحثين)، **معجم تحليل الخطاب**، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، منشورات دار سيناترا، والمركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2008.

- السكاكي (سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد)، **مفتاح العلوم**، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط2، 1407هـ/1987م.

- طلحة (محمود)، **مبادئ تحليل الخطاب في التراث البلاغي العربي من خلال شروح التلخيص**، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2019.

- العمري (محمد)، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2005.

- الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998/1419.
- مطلوب (أحمد)، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط2، 2000.
- ابن معصوم المدني (السيد علي صدر الدين)، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق، ط1، 1968-1488/1489.
- نويوات (مختار)، البلاغة العربية في ضوء البلاغات المعاصرة، بين البلاغتين الفرنسية والعربية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013.
- مراجع باللغة الأجنبية.
- Bracops (Martine), Introduction à la pragmatique, champs linguistique, DeBoeck, Bruxelles, 2006.
 - Charadeau (Patrick) & Maingueneau (Dominique), Dictionnaire d'analyse du discours, Editions de Seuil, Paris, 2002.
 - Eggs (Ekkehard), Rhétorique et argumentation :de l'ironie, Argumentation et Analyse du discours, En ligne, 2/ 2009, mise en ligne le 01 Avril 2009, Consulté le 19 Juin 2015. URL :<http://aad.revues.org/219> ;DOI :10.4000/aad.219.
 - Fontanier (Pierre), Les figures du discours, Flammarion, Paris, 1977.
 - Grice (H.P.), Logique et conversation, traduction française de: Frédéric Berthet et Michel Bozon, Revue Communication, n° 30, 1979.
 - Reboul (Olivier), Introduction à la rhétorique, Presses Universitaires de France, Paris, 1991, édition 2011. Georges Molinié, Dictionnaire de rhétorique, Librairie Générale Française, Paris, 1992.
 - Sperber (Dan) & Wilson (Dierdre), Irony and the Use-Mention Distinction, In: Radical Pragmatics, P. Cole (edi), Academic Press, New York, 1981, pp 295-318.
 - Searle (John), Sens et expression, traduction française : Joëlle Proust, Edit Minuit, Paris.1982



- Sperber (Dan) & Wilson (Dierdre), *Relevance Communication & Cognition*, Blackwell Publishers, Oxford, UK, Second edition, 1996.

الهوامش والإحالات

¹ Ekkehard Eggs, *Rhétorique et argumentation : de l'ironie*, *Argumentation et Analyse du discours*, En ligne, 2/ 2009, mise en ligne le 01 Avril 2009, Consulté le 19 Juin 2015.

URL : <http://aad.revues.org/219> ; DOI :10.4000/aad.219. p 2.

² Pierre Fontanier, *Les figures du discours*, Flammarion, Paris, 1977, p 145.

³ Olivier Reboul, *Introduction à la rhétorique*, Presses Universitaires de France, Paris, 1991, édition 2011, p 138.

⁴ Georges Molinié, *Dictionnaire de rhétorique*, Librairie Générale Française, Paris, 1992, p 180.

⁵ P. Charadeau & D. Maingueneau, *Dictionnaire d'analyse du discours*, Editions de Seuil, Paris, 2002, p 330.

والترجمة العربية للمعجم: شارودو (باتريك) ومنغنو (دومينيك) (ومجموعة باحثين)، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري وحماي صمود، منشورات دار سيناترا، والمركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2008، ص320.

⁶ Olivier Reboul, *Introduction à la rhétorique*, p 139.

⁷ Ibid, p 139.

⁸ ينظر مثلاً: علي البوجديدي، *السخرية في أدب الجاحظ*، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 1439/2018، ص56.

⁹ ينظر: محمد العمري، *البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول*، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2005، ص85.

¹⁰ ينظر: علي البوجديدي، *السخرية في أدب الجاحظ*، ص ص 57-98.

¹¹ مختار نويوات، *البلاغة العربية في ضوء البلاغات المعاصرة*، بين البلاغتين الفرنسية والعربية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص145.

¹² النساء: 138.

¹³ الدخان: 49.

¹⁴ ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، 1963، ص 568.

¹⁵ ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص 567.

¹⁶ المصدر نفسه والصفحة.

¹⁷ المصدر نفسه، ص 550.

¹⁸ السكاكي (سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد)، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط2، 1407هـ/1987م، ص 197.

¹⁹ الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر)، الإيضاح لتلخيص المفتاح، تحقيق: د. ضياء الدين عبد الغني القالاش، دار اللباب، اسطنبول، تركيا، ط1، 2023/1445، ص 129.

²⁰ بدر الدين ابن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبدیع، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1989/1409، ص 243.

²¹ السكاكي، مفتاح العلوم، ص 375. والتعليق في الاصطلاح كما في "الكليات" لأبي البقاء الكفوي: "بتقديم الميم هو إتيان بما فيه ملاحه وظرافة، يقال: ملّح الشاعر، إذا أتى بشعر مليح، والفرق بينه وبين التهكم بحسب المقام، فإن كان الغرض مجرد الملاحه والظرافة من غير قصد إلى استهزاء فتملّيح، وإلا فتهكّم"، الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998/1419، ص 301.

²² ابن معصوم المدني (السيد علي صدر الدين)، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاکر هادي شکر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق، ط1، 1968-1969/1488-1489، ج 5 ص 5.

²³ ورد هذا التعريف في: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص 596.



²⁴ المصدر نفسه والصفحة.

²⁵ للاطلاع على هذه المباحث البديعية يمكن الرجوع إلى: مطلوب (أحمد)، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط2، 2000، تجاهل العارف: 256-257، التلميح: 413-414، تأكيد المدح بما يشبه الذم: 242-244، الهزل الذي يراد به الجد: 670-671، التعريض: 379-382.

²⁶ محمود طلحة، مبادئ تحليل الخطاب في التراث البلاغي العربي من خلال شروح التلخيص، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2019، ص129.

²⁷ H.P. Grice, Logique et conversation, traduction française de: Frédéric Berthet et Michel Bozon, Revue Communication, n° 30, 1979, p 61.

²⁸ Ibid, p 67.

²⁹ John Searle, Sens et expression, traduction française : Joëlle Proust, Edit Minuit, Paris.1982, p 71

³⁰ Ibid, pp 88-89.

³¹ Ibid, p 164.

³² D. Sperber & D. Wilson, Les ironies comme mentions, Poétique, n°36, 1978,

وقد اعتمدنا على النسخة الإنجليزية من المقال وهي أكثر تفصيلاً وهي:

Dan Sperber & Dierdre Wilson, Irony and the Use-Mention Distinction, In: Radical Pragmatics, P. Cole (edi), Academic Press, New York, 1981, pp 295-318.

³³ D. Sperber & D. Wilson , Relevance Communication & Cognition, Blackwell Publishers, Oxford, UK, Second edition, 1996.

³⁴ Sperber & wilson, Irony and the Use-Mention Distinction, p 295.

³⁵ Ibid, p 296.

³⁶ Martine Bracops, Introduction à la pragmatique, champs linguistique, DeBoeck, Bruxelles, 2006, p 130.

³⁷ D. Sperber & D. Wilson , Irony and the Use-Mention Distinction, p 298.

³⁸ D. Sperber & D. Wilson , Relevance Communication & Cognition, p 231. 373

³⁹ Martine Bracops, Introduction à la pragmatique, p 133.

⁴⁰ D. Sperber & D. Wilson, Relevance, p 238.